

العلوم الإنسانية تحت مرآة البنيوية  
أ/ عيسى رفاص  
جامعة الجزائر 02

تاريخ القبول: 2018-01-14

تاريخ الإرسال: 2017-11-09

تاريخ النشر: جويلية 2018

**ملخص:**

تعتبر محاولة الأنثروبولوجيا البنيوية لدراسة العلوم الإنسانية والاجتماعية حدثاً فلسفياً مهماً منذ منتصف القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وهو ما سنحاول إثباته في هذا المقال من خلال تصور أن البنيوية لا تعلن عن ولادة فلسفة جديدة وهذا دليل على عدم قدرة بعض مفاهيم مناهج العلوم البصرية والطبيعية في دراسة علوم الإنسان. شجع على ذلك النجاح هذا في مجال اللغة واللغويات، لا سيما مع سوسور، الذي أحدث ثورة في دراسات اللغة العلمية، لذا فإن الدراسة البنيوية للعلوم الإنسانية والاجتماعية تأتي استجابة لمناهج تلك العلوم التي شوهت طبيعة العلوم الإنسانية. بدلاً من رفع مستواها إلى مستوى العلوم الطبيعية، ومنه لا بد من الدعوة، إلى مفاهيم مثل الصرامة والموضوعية والدقة والصحية، مع ضرورة الحفاظ على خصوصية هذه العلوم.

**الكلمات المفتاحية:** البنيوية- الأنثروبولوجيا- العلوم البصرية- العلوم الإنسانية- العلوم الاجتماعية...

**Abstract :**

the attempt of structural anthropology to study human and social sciences has been an important philosophical event since the middle of the 19<sup>th</sup> century and the beginning of the 20<sup>th</sup> century. this is what will attempt to prove in this essay by proving that the structuralism does not declare the birth of a new philosophy is a proof of the inability of some concepts of the curricula of the visual and natural sciences in the study of the field of human sciences. this encouraged the success of this in the field of language and linguistics, especially with de saussure, which revolutionized scientific language studies, so the structural study of human and social sciences come in response to the curricula of those sciences that distorted the nature of human sciences instead of raising the level to the level natural sciences, the basic task that the structural approach tried to reach, by calling, for concepts such as strict, objectivity, accuracy, health , with the need to preserve the privacy of these sciences, namely that their phenomena come from awareness.

**key words :** structuralism, anthropology, curriculum, visual sciences, natural sciences, human sciences, social sciences.

**مقدمة:**

يطلق مصطلح العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية على ذلك المجال الذي يهتم بالظواهر التي تتخذ من الإنسان موضوعاً لها، حتى وإن كانت هناك فروقات طفيفة بين المفهومين، أقصد بين الإنسانية والاجتماعية، سنبينه لاحقاً، وفي خضم هذا التعارض، شكل ظهور العلوم الإنسانية والاجتماعية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حدثاً فلسفياً مهماً، لأنه يمثل استمرار الخطاب الفلسفي في معالجة مسائل مختلف العلوم، خاصة العلوم الإنسانية، لأنه

فعلا، يجب علينا التسليم أن العلوم الإنسانية والاجتماعية هي فقط وحدها العلوم التي بقيت مرتبطة في ميدان بحثها بمجال وحقل الفلسفة عموما، وفلسفة العلوم على وجه الخصوص . هذا على الرغم من أن تاريخ العلوم الإنسانية ظل شاهدا على كثير من المحاولات التي أرادت إلحاق العلوم الإنسانية بالعلوم الطبيعية والعلوم الصورية، من خلال طريقة أساسية وظفتها تلك المحاولات، هي تطبيق مناهج هذه العلوم على العلوم الإنسانية، لكن في نهاية الأمر بقيت تلك المحاولات حبيسة أدراج التاريخ، لأنها لم ترق بمستوى العلوم الإنسانية إلى مصاف العلوم الطبيعية، أولا من حيث الخصوصية المحلية، والمطابقة مع تلك العلوم، وثانيا من حيث الصدق والحقيقة العلمية، وثالثا وهذا هو الأهم هو أنها محاولات يمكن أن تشوه طبيعة الإنسان البسيط بحيويته، والمعقد بإنسانيته، لأن الاستقرائية التي انجذبت لسحرها، وسارت في فلکها، خاصة العلوم الفيزيائية، النموذج الأعلى للعلم، أو مثال العلم، ستخرج إن أجلا أم عاجلا العلوم الإنسانية، أو العلوم المسماة بالعلوم المعنوية، علوم الروح، أو علوم الفكر، كما يذكر الفلاسفة الألمان خاصة دلتاي .

وفي هذا المجال المتراوح بين المد والجزر، في البحث عن أساس متين تقوم عليه العلوم الإنسانية، جاءت المحاولة البنوية لتعيد الاعتبار لهذه العلوم، فتعيدها بذلك إلى مكانتها، ومكانها الطبيعي، وتضعها في إطارها المحدد، والمخصص لها، أو بعبارة أخرى هو ما تفسره طروحات معينة و مميزة بعدم مشروعية إلحاق العلوم الإنسانية بالعلوم الطبيعية بدمج الطبيعة في الثقافة والحياة في مجمل الشروط الفيزيائية والكيميائية، بل بتكييف هذه الشروط بما يتناسب مع طبيعة هذه العلوم. وقد ناقشت الفلسفة البنوية هذه المسألة من خلال مؤسسها الأول كلود ليفي ستروس، بتحليلها ونقدها لعلاقة أساسية في حياة الإنسان هي علاقة الزواج، التي تستعويض بها البنوية عن موضوع اللغة، من خلال تركيزه في تحليلاته تلك على جانب واحد أساسي بين مختلف المجتمعات البدائية والمتحضرة، هو التشابهات الملاحظة بينها، وكذلك دور مختلف الوظائف التي ساعدت على ظهور مختلف البنيات عبر الزمن، هذه إذن نظرة موجزة عن مخاض ميلاد العلوم الإنسانية، وإرهاصات دور المعالجة البنوية فيها. لذلك نطرح السؤال التالي: ما هو مفهوم البنية، وما هي أهم الملامح لبناء العلوم الإنسانية والاجتماعية في المنظور البنوي؟

**1- مسار مفهوم البنية من اللسانيات حتى الأنثروبولوجيا :** يمتلك مفهوم البنية أهمية كبيرة على الصعيدين المنهجي والعلمي، ولهذا فإنني ارتأيت أن أخصصه بالمناقشة لسببين أولهما أن الدراسة البنوية لأي علم، خاصة العلوم الإنسانية هو وحده ما يمكننا من الكشف عن البنية الرمزية اللاشعورية للظاهرة الإنسانية، ذلك مثلا لأن الدراسة التجريبية فيها لم تأخذ بعين الاعتبار طبيعة هذه العلوم من خلال النموذج العقلي المنطقي، بل ركزت على الجوانب الخارجية التي لا توحى بحقيقتها، وهنا تكمن أهمية عمل ستروس في أنه جعل من البنوية عقلية، ولاشعورية، يقول كيفرد غيرتز: « لقد تمكن ستروس من أن يجعل الأنثروبولوجيا فلسفية وعقلية، كما أنه ربطها بالتيارات الفلسفية السائدة في العالم، واستطاع إخراجها من الميدان الإمبريقي الضيق، أي أنه حقق ما كنت أرغب فيه »<sup>1</sup> . وهذا الربط للبنية بالعقل هو أمر ضروري، كما أنه مفيد، لأن للعقل وظيفة حيوية مثله بقية الوظائف الحيوية لمختلف الأعضاء المكونة لوضع الإنسان، لكن ميزته هي التكيف، خاصة عند تنوع الشروط المحيطة، وهو ما يمكن تطبيقه على الأنتوغرافيا، علم الاجتماع، وغيرها، ولهذا وجب « تقوية الفكرة التاريخية للعقل، وما ينجم عنها من تقدم العلوم التاريخية، وعن المنزلة المتزايدة التي تحتلها العلوم الإنسانية »<sup>2</sup> . هذا التقريب للبنية بمحتوى العقل، نتج عنه أنها خرجت من عزلتها المعرفية، بمجاورتها للمجالات العلمية المتخصصة وغير

المتخصصة، التي استفادت منها هي الأخرى بعد أن أتاحت لها البنية أداة منهجية قوية لدراسة موضوعاتها، منها موضوعات الأدب، التاريخ، الفلسفة، الإبتيمولوجيا، اللغة، الإنتربولوجيا، علم النفس وغيرها. فكان ذلك تحت قيادة عديد الشخصيات الفلسفية الممارسة للفعل البنيوي كيباجي، دي سوسير، فوكو، ألتوسير، ليفي ستروس وغيرهم ..

إن أسباب هذا التوسع لم تخرج عن إطار بعض الأسباب التاريخية التي نجملها في النتائج التي خلفتها الحرب العالمية الثانية على وجدانية الإنسان الأوروبي غير المستقرة الذي عانى من تغلغل مشاعر سلبية بعد المشاكل التي خلفتها تلك الحرب وقبلها الحرب العالمية الأولى، ومختلف الأزمات، فكان لزاما بعد منتصف القرن التاسع عشر، البحث عن وسيلة ناجعة من أجل إخراجه من هذه الحالة ومن هذه العزلة الوجودية، كان ذلك عن طريق وسائل معرفية توجه من خلالها الاهتمام للتفكير حول مسائل أعمق. وعليه فالبنوية هي انعكاس لتغير ملامح العصر، حاول من خلالها الفلاسفة تفسير مختلف المعارف والبت في مسائل العلوم الإنسانية، وهي حقيقة يمكن القول أنها ملامح عاكسة لوجدانية ومشاعر وجدانية الإنسان الأوروبي غير المستقرة، فكان لزاما البحث عن وسيلة لإخراجه من هذه الحالة فتوجه الاهتمام نحو التفكير حول المسائل المختلفة بطريقة تكون أكثر نضجا وفعالية. وعليه فالبنوية هي انعكاس لتغير ملامح العصر، وجهته للبحث عن أشياء أعمق، فيحاول من خلالها الفلاسفة تفسير مختلف المعارف والعلوم الإنسانية، لأن البنوية عندهم ولدت الاعتقاد بضرورة تغيير الوجهة، وإعداد طرق جديدة تمكنهم من تجاوز مسالك المثالية و الوضعية و الذرائعية، فهي إذن شيء مختلف، هي كما عبر عن ذلك أنها نظام لتفسير الظواهر من أجل الكشف عن تنظيمها من خلال وسائل المعقولة، والشئ الملاحظ على اعتبارات ستروس هو أنها مفهوم يرتكز على فكرة أساسية، هي فكرة الضبط المستعملة في الفيزيولوجيا الخاصة بالضبط الذاتي لجسم الكائن الحي، المستمدة من تطوير أعمال كلود برنار، عندما تحدث عن مفهوم البنية بإرجاعه إلى الكل الخارجي أي إلى توسط دائم للعلاقة بين الأجزاء المكونة للوسط الداخلي، وخاصة ضبطه .

والأهمية الثانية هي أن مفهوم البنية جاء ليحل أولا مشكلة العلاقة اللغوية، ظهر ذلك مع المدارس اللسانية الحديثة، ومع دي سوسير تحديدا، الذي أحدث ثورة علمية في عالم الدراسات اللغوية، لكن الشئ الذي حصل هو أن مفهومها امتد ليصل إلى ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية، وفي هذه النقطة يمكن أن نشير إلى أعمال كروبر التي تشير إلى مسألة تتخذ أهمية منهجية تتعلق بظاهرة اجتماعية هي لباس المرأة أو أما نطلق عليه في العصر الحديث مصطلح - الموضة - التي تعتبر كما نحى إلى ذلك كروبر أنها أكثر الظواهر اعتباطية ورمزية وهذا هو هدف البنوية، التغلغل في أعماق البنيات الرمزية لمختلف الظواهر، التي منها وبطريقة مماثلة يقول ستروس أمكن دراسة « التنظيم المجتمعي، وخاصة دراسة قواعد الزواج وأنظمة القرابة »<sup>3</sup>. وهذه الملاحظة الأخيرة، وأقصد دخول مفهوم البنية لحقل العلوم الإنسانية، هي نقطة إبداع البنوية، لأن المنهج البنيوي أكد على قصور بقية المناهج في دراسة الظواهر الواعية، الظواهر التي تحتوي على قدر كبير من الحميمية التي لا يمكن قياسها أو وصفها بالمشاهدة كما يتم ذلك مع ظواهر العلوم الطبيعية .

لعل هذا السبب الذي عجل بظهور عديد الإشكاليات والمسائل النظرية، ولعل أهمها مشكلة المنهج التي تعرف في الأوساط المعرفية بإشكالية التأسيس المنهجي للعلوم الإنسانية، أي محاولة البحث عن أساس موحد للعلوم الإنسانية، كما تم ذلك في العلوم الطبيعية، من خلال المثال الأعلى للعلم، الفيزياء، فإن العلوم الإنسانية حاولت أن تجعل من علم النفس مثالا تقتدي به، لكن أليس من

الصعب التسليم بذلك لأن علم النفس، وأقصد علم النفس التكويني أو علم النفس الطفل هو العلم الذي يدرس « الطفل لذاته، هو في الواقع الوسيلة لسيكولوجيا تكوينية، تبحث عن تفسير سببي للآليات الذهنية، عن طريق تحليل كيفية تكونها »<sup>4</sup>. وهذا يعني أنه إذا كان علم النفس التكويني هو علم تفسيري يبحث في العلاقات السببية بين الظواهر، فإن ذلك سيؤدي إلى أن تصبح العلاقات الإنسانية خاضعة لنفس مبدأ تفسير الظواهر الفيزيائية، وهذا ما يتعارض مع طبيعتها الشعورية، أو ما يمكن أن نسميه نطاق الظواهر الواعية التي هي حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية، ويمكن أن نضيف الملاحظات التالية لتوضيح ذلك:

1- توضيح بنية المعرفة العلمية بتتبع تطورها وكونها، وأقصد بالتطور التطور التاريخي والاجتماعي، وبالتكوين التكويني النفسي لأنه دائماً ما كانت الصلات حميمة ووثيقة بين « التنشئة النفسية والاجتماعية، ودراسة الثاني تجري طبيعياً من خلال الأول، وفي هذه الحالة أو في الأخرى، التحليل التكويني يجب أن يواكبه تحليل بنيوي.. وهي جميعاً لا بد أن تكون ذات صلات بالتحليل المنطقي الرمزي »<sup>5</sup>.

2- البحث عن أصول العمليات والأفكار النفسية التي تعتمد عليها المعرفة، وبيجي أعد نفسه بالأعمال التي خصها لوحده، أو بمعية فريق العمل المساعد له في مركز جنيف السويسري في أبحاثه حول علم النفس الطفل عن « تطور البنيات المنطقية الأولية وفكرة العدد وفكرة السبب وفكرة المصادفة »<sup>6</sup>.

3- ضرورة إدراج عمليات المطابقة بين الصياغة المنطقية والصياغة البنيوية في عمليات الفكر لأن « مساعدة المنطقين لا تقل ضرورة بسبب الترابط الوثيق بين التكون والبنية، وكل تكون يتم وفق درجة معينة، وكل درجة تعبر عن حالة مؤقتة من التوازن التي تميز به بنية معينة »<sup>7</sup>. إن هذا التطور الذي بدأ على يد كونت وماركس في العلوم الاجتماعية، انقل إلى علم النفس ومنه إلى باقي العلوم الإنسانية، كان ذلك في بداية القرن التاسع عشر من خلال فلاسفة العلم وعلى رأسهم جون ستيوارت مل، الذي خلص من دفاعه المستميت عن فكرة منطق للعلوم الإنسانية إلى تأكيد إمكانية قيام العلوم الإنسانية من الناحية المنطقية، فدعا في الجزء السادس من كتابه : نسق المنطق لمنطق العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية إلى « مضاعفة الجهود لتأسيسها تماماً كما العلوم الطبيعية »<sup>8</sup>. وهي الدعوة التي لاقت استجابة قوية من طرف كونت صديقه الشخصي ورفيقه الفكري وهو في هذه الوضعية شبيه لبينتز الذي أقام توازناً بين مشروعه المعرفي ومشروعه الميتافيزيقي، فإن مل هو كذلك من حيث أنه يقيم توازناً بين العلم والمجتمع لأنه يرى أن أساس قيام العلوم الإنسانية والاجتماعية هو طرحها من خلال نموذج المعرفة العلمية الوضعية

لكن ما يؤخذ على هذه الفكرة هو أن الأساس المنطقي الذي عمل لأجله مل وكل الفلاسفة الوضعيين هو ذاته السبب في تخلف العلوم الإنسانية، ذلك لأن طريقة العلوم الطبيعية التي بنت أساس منطقي قوي ومتين لا يصلح عند ممارسي فلسفة العلوم الإنسانية لعجز هذه العلوم عن تحقيق نفس التقدم الذي حققته العلوم الطبيعية من خلال نقطتين أساسيتين تؤكدان ذلك هما : أن درجة الاختلاف بين منهج العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية هي كبيرة، والمشكلة الثانية هي أن موضوع العلوم الطبيعية يزداد تقدماً لأنها عبارة عن ظواهر تجريبية خارجة عن الوعي يمكن تفسيرها تفسيراً كمياً لا يتلاءم مع التقدم النسبي لموضوع العلوم الإنسانية لأنها تمثل واقعاً ذاتياً قادماً من الوعي مما أدى لافتقارها للإحكام المنطقي الذي يرجع أيضاً لتعقد الإطار الثقافي مع محتوى العلوم الإنسانية، ولهذا فقد تم اعتبار أن « الأوضاع الخارجية هي التي أملت على البحث

في هذه العلوم اختيار القنوات التي يمكن أن تجري فيها التصورات عن طريق التحكم في الإنسان والمجتمع، وتتألف هذه الأوضاع الخارجية من القوى السياسية والاجتماعية إلى جانب البدائل الثقافية الأخرى كالأديان والتقاليد والعرف والفلسفات وهي كلها تشكل الإيديولوجيات، وبيانات رجال السياسة والإصلاح، فهي تنطوي على تصور معين للإنسان والمجتمع»<sup>9</sup>.

إن إشكالية المنهج في العلوم الإنسانية وعدم صلاحية منهج العلوم الطبيعية لهذه الحقول والمجالات المعرفية أو كما ذكر ذلك فوكو التشكيلات الخطابية التي هي فقط موضوع معرفية وضعية لا تتجاوزها لأن تصبح علما، كان عليه البحث عن وسيلة أخرى، كانت هي مفهوم البنية، نتج عن هذا الاكتشاف الجديد أن البنية لم تعد تقتصر على ميدان اللغة، بل إن حضورها أصبح شموليا، ليسع مجالات أرحب، وهو ما صاحبه ظهور العديد من الشخصيات الممارسة للفعل البنيوي، كيباجي في علم النفس، دي سوسير وتشومسكي في اللسانيات، فوكو في الفلسفة والإبستيمولوجيا، وستروس في الإيتربولوجيا. فمثلا دي سوسير طبق مفهوم البنية في ميدان اللسانيات، واعتقد باعتبارية العلامة، الذي يكون ربما عند أخذه عن الرواقيين<sup>10</sup>، الذين يمثلون إضافة إلى الميغاريين المدارس المنطقية اليونانية المتأخرة كثيرا، لكن الحقيقة أن جذورها تمتد إلى أبعد من ذلك، إلى أرسطو. أما في العصر الحديث، فنلمسها في منطق بورروايال، حيث طبع الاعتقاد العقلاني عندهم أن اللغة ليست سوى قائمة من الأسماء المناسبة للأشياء الموجودة في الطبيعة، وهي تظهر أكثر في القسم الثاني منطق بورروايال الذي يتناول فيه القضايا بعكس القسم الأول البعيد عن هذه المسألة، والذي يعالج فيه مسألة فلسفية هي طبيعة المنطق بين العلمية والفنية كما تدل على ذلك كلمات الكتاب أنه ليس « علما، ولكنه فن، ليس فن تركيب الكلمات أو العبارات، لكن فن من خلاله نتعلم أن نفكر بطريقة أفضل»<sup>11</sup>. أما القسم الثاني فهو حقيقة ما يعبر حقيقة عن مساندة التحليل المنطقي لمنطق بورروايال للتحليل النحوي للغة لأن « أغلب التحليلات التي يحتوي عليها القسم الثاني هي تحليلات للغة، تهدف إلى إبراز الصور المنطقية الأساسية التي غالبا ما تخفي خلفها الصور المتنوعة للعبارة»<sup>12</sup>. العبارة النحوية التي تتجلي من خلال العلامة اللغوية التي تظهر هي الأخرى من خلال تلك العلاقة بين مفهومين يشكلان العلامة اللغوية هما الدال *signifié* والمدلول *signification*.

هذا الاعتقاد أملاه عليه عداؤه الشديد لفكرة طبيعية العلامة، لأن طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول، هي علاقة اعتبارية، يؤدي ذلك إلى أن تكون اللغة عموما تشابك مجموعة من العلاقات، لذلك كان لزاما دراستها من خلال منهج سكوني لا تطوري لافتقارها للبعد التاريخي الذي جعل جميع اللغات تتساوى من حيث الأهمية سواء القديمة أو الحديثة، الشفوية أو المكتوبة، ويقدم دي سوسير المثال التالي لتوضيح هذه الفكرة وهو أن « كلمة *soeur* ، أو أخت، هي كلمة ترتبط بين مجموعة من الأصوات هي أ، خ، ت التي تحل محل الدال في العلاقة اللغوية»<sup>13</sup>. ويمكن تمثيل هذه الفكرة بأي تعاقب آخر مستمد من الاختلافات القائمة بين اللغات، وبين وجود لغات مختلفة.

كما أن لالاند طبق مفهوم البنية ليعبر من خلاله عن فكرة الكلية، أي أن العلاقات بين العناصر داخل الظواهر يكون فيها كل عنصر متعلق بالآخر، ولا يمكن أن يمتلك دلالاته إلا من خلال الكل. وهذه الفكرة قد تم فعلا نقلها إلى ميدان علم الاجتماع، فأصبحت البنية تعني « تماسك المؤسسات الاجتماعية، ولذلك أسس كل من كروبر وإيفانز بريتشارد ومورداكل منهجه البنيوي على قضية التنظيم والبحث في العلاقات الاجتماعية قصد تحديدها داخل إطار البنية التي تكونها»<sup>14</sup>. ليؤكد من خلالها، من خلال البنية، والمنهج البنيوي، على قصور كل المناهج، ومنها المنهج

الفينومينولوجي على عدم قدرتها على مراعاة خصوصية العلوم الاجتماعية، وهذه الخاصية المميزة التي استمدتها المنهج البنيوي، والتي تلعب دور السمة فيه، هي التي مكنته من أن ينقل حضوره من حقل اللغة إلى ميدان العلوم الإنسانية .

ذلك أن اللسانيات الحديثة لم تتوقف عن تحقيق العديد من المكتسبات، في مختلف فروعها العمومية والخصوصية، بل أكثر من ذلك ما تزال تقدم للحقول المعرفية الأخرى، خاصة ما تعلق بمسائل العلوم الإنسانية، الأدوات المنهجية العلمية والنظرية التي تمكنهم من نقل أفكارهم في طرق البحث الميداني والاختبار التجريبي مع الحفاظ على خصوصيتها، وهو الأمر الذي أكده تشومسكي عندما انته إلى ضرورة ربط الفلسفة الحديثة بالتراث الإنساني، وهو ما ذكره في تصنيفه الشهير عن اللسانيات الديكارتية خلال بحثه حول مسألة الطبيعة الشكلية للغة، و لهذا فهو يقول إنه « فصل من تاريخ التفكير العقلاني »<sup>15</sup>. فتشومسكي بحديثه عن اللسانيات الديكارتية يأتي ليؤكد كلمة فوكو لما بحثه في الكلمات والأشياء، عن أهمية اللحظة الديكارتية التي أحدثت القطيعة الأولى في الثقافة الغربية عموماً والفرنسية خصوصاً 1536 - 1690 عند بداية القرن السابع عشر، لأنها حتى وإن لم تؤسس قيام العلوم الإنسانية، فإنها أبانت عن عمق تقاطع النحو اللغوي بالهاجس الفلسفي، ومن ثمة نقل التساؤل من حقل اللغة إلى حقل الإنسان من خلال اللغة .

إن التحليل السابق لمفهوم البنية، وكيفية نقله من اللغة إلى الإنترنتولوجيا يمكننا من استخلاص السمات الأساسية لها وهي<sup>16</sup>:

- 1- إن البنية ترتبط بعلاقات دائمة وثابتة لأنها كل متكامل يتكون من عناصر معينة .
- 2- البنية مغلقة وليست مفتوحة، لأنها مرتبطة بقانون التحويلات .
- 3- إن البنية تؤمن بفكرة الكلية، لأنها أكبر من عناصرها التي تكونها .
- 4- البنية عقلية لاشعورية .

**2- بين العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية في الإنترنتولوجيا البنيوية :** للحديث عن العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ودرجة اختلافهما أو التطابق بينهما لا بد أن نعرض على نموذج ليفي ستروس الذي يعد رائداً للإنترنتولوجيا البنيوية عموماً، والإنترنتولوجيا الفرنسية خصوصاً، لسبب أساسي هو أنه تعدى مجال الأنتوغرافيا ليصل إلى الفلسفة، حتى وإن كانت هيمنته وذووعه لم يمنع من بروز شخصيات عديدة ساهمت بأعمالها الإنترنتولوجية كبيار بورديو في الجزائر وموريس غولدي في ماليزيا وغينيا، ولوي دمون في الهند. هذه الشخصيات قدمت مجهودات كبيرة في حقل الدراسة البنيوية، غير أن ستروس تميز عنها بكون آرائه النظرية مكنت الأنتروبولوجيا البنيوية من « الوقوف بشكل أفضل على نصوص أنتوغرافية شارفت على أن تكون خرساء بسبب عجز تحليل بعض النظريات »<sup>17</sup>. ذلك لأن البنيوية الفلسفية لا تهتم بالمعيش العيني، والواقعي التجريبي، كما فعلت ذلك الإنترنتولوجيا الوظيفية والإنترنتولوجيا المتعددة الأوجه في خمسينيات القرن الماضي، مع كل من الإنترنتولوجيا الاجتماعية البريطانية، والإنترنتولوجيا الثقافية الأمريكية، إنما تبحث عن البنية الكامنة وراء الظواهر، البنية العقلية الرمزية اللاشعورية، وليس البنية التجريبية، وأن تدرسها وفق منهج تزامني، لا منهج تعاقبي تطوري، لأنها تفتقر للبعد التاريخي كظاهرة مستقلة عن مجموع الظواهر إن كانت قبلها أو بعدها، لأن الظاهرة الاجتماعية، هي فقط ظاهرة رمزية، وهذا هو موضوع الإنترنتولوجيا، فما هي علاقتها بالعلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية؟ وهل هناك فعلاً فرق بين العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية؟

إن ليفي ستروس، عموماً يفرق بين مجالين، هما مجال العلوم الإنسانية، ومجال العلوم الاجتماعية، ولهذا فهو يميز بين العلوم الاجتماعية التي تضم علم الاجتماع، فرع علم النفس

الاجتماعي، كما تشمل العلوم الاقتصادية والقانونية والسياسية، أما حقل العلوم الإنسانية فقد أصبح عنده يعني « مجال الدراسات التي تستعمل المنهج العلمي في دراسة النشاط الإنساني، سواء على مستوى الفرد، أو على مستوى الفرد داخل الجماعة»<sup>18</sup>. والفرق بينهما هو أن العلوم الاجتماعية هي علوم تطبيقية والعلوم الإنسانية علوم نظرية. ومشكلة هذه العلوم تبدأ مبكراً، منذ التسمية، لأن المصطلح الحالي مصطلح العلوم الإنسانية هو مصطلح حديث النشأة، يقابله قديماً المصطلح الدال على العلوم الأخلاقية التي ترصد حياة البشر وسلوكياتهم فردياً أو داخل الجماعة، كما أن تسمية العلوم الإنسانية لم يتم إسقاطها على كافة العلوم التي تدرس الإنسان كعلم التشريح وعلم الفيزيولوجيا البشرية رغم أنها من صميم الطبيعة الإنسانية.

ذلك أن العلوم الإنسانية كما ذهب إلى ذلك الابستيمي الفرنسي روبير بلانشي، حتى وإن كانت تشترك في موضوعها الذي هو الإنسان، فهي مع ذلك كثيرة الاختلاف من جهة طرق تناولها، فمصطلح العلوم الإنسانية على الرغم من شمولية اسمه هو أبعد من أن يجمعها جميعاً، فهو لا يعدو إلا أن يكون جزءاً متواضعاً منها فمثلاً « للتاريخ صفته العلمية، لكن ليس بنفس المعنى الموجود في علم النفس أو علم الاجتماع»<sup>19</sup>. ونلخص هذا المفهوم بقولنا أن العلوم الإنسانية استعملت فقط للدلالة على تمييز الممارسات التي يقوم بها الإنسان كفرد من خلال نسجه لعلاقات مختلفة مع باقي الأفراد، لأن مدارها هو شبكة العلاقات المجتمعية في مقابل ما يوجد في الطبيعة. وعلى هذا الأساس سوف ندرس أحد أهم الإشكاليات التي تطرح على طاولة النقاش عندما يتعلق الأمر بمسألة العلوم الإنسانية وهو مشكلة التسمية، لذلك أطرح السؤال التالي: ما هو الفرق بين العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية؟ وهل هناك فعلاً فرق إبستيمولوجي بين هذه المصطلحات؟

يميز ستروس مؤسس البنيوية وأحد أهم البنيويين المعاصرين بين العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، لأن الأولى نظرية تهتم بالنظريات والثانية عملية تهتم بما يقوم به الإنسان داخل شبكة من العلاقات، إذن تعبر الأولى عن أولوية الفرد والثانية عن أولوية الجماعة، والسبب في تمييزه هو ميله للتقاليد الأنجلوساكسونية رغم أنه فرنسي، وذلك لعدة اعتبارات منها ما ذكرته يمني طريف الخولي التي أكدت أ: « الكثيرين.. يطابقون بين مصطلحي العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، غير أن المصطلح الذي بدأ يسود في الآونة الأخيرة، ومصطلح العلوم الإنسانية، يبدو أصوب، لأن الإنسان - وإن كان لا يتواجد إلا في صورة جمعية -، فإنه الموضوع المحوري، والوحدة النهائية التي ترتد إليها الدراسة في كل حال»<sup>20</sup>. كما أن الجذور التاريخية لما يمكن أن نقرأه لما كان في عصر النهضة الأوروبية المصطلح الدال على الأمور المعيارية والقيمية التي رفض بعد ذلك في الفترة المعاصرة أن تسمى علوماً أصلاً لأنها « بقيت جد مختلفة عن باقي العلوم، ولذلك قد وقع غالباً الاعتراض على إطلاق تسمية العلوم عليها»<sup>21</sup>. وعندما نصل إلى المعاصرين نجدهم يفضلون مصطلح العلوم الإنسانية سواء في المدرسة الأنجلوساكسونية أو المدرسة الفرنسية، أو في أوروبا كاملة. ومن هذه النقطة الأخير يمكن أن نصل إلى نتيجة نهائية تلخص مسار العلوم الإنسانية هي أن المصطلح الذي كان سائداً للدلالة على مواضيع الإنسان هو ما تعلق بـ « الآداب والفنون والمسائل المعيارية والقيمية واتجاهات لتفسير النصوص .. وكلها مسائل مفارقة للعلم ولا ينبغي أن تختلط به»<sup>22</sup>. كما لا يفوتنا أن ننوه بتيار ثالث هو الذي كان سائداً عند الألمان خاصة منهم دلتاي وبلوخ اللذان يفضلان مصطلح علوم الفكر الذي سيقابل مصطلح علوم الطبيعة. والفرق بينهما هو أن الثانية تفسر ظواهرها بينما الأولى تسعى إلى فهمها. لكن هل يمكن للنتيجة السابقة أن تحل المشكلة لأن طريقنا يصطدم بمشكل ثالث يتمثل في تسمية

ثالثة تتقاطع مع مصطلحي العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية هي مصطلح علوم الإنسان، فهل يمكن أن يكون المصطلح الثالث هو الحل لهذه المشكلة، مشكلة التسمية؟

يمكن ذلك لعدة أسباب نجلها في سببين رئيسيين هما أن الميزة الأولى لتسمية العلوم الإنسانية هي تسمية شاملة وواسعة يمكن أن ندرج فيها حتى العلوم التي تتخذ من الإنسان موضوعاً لها، فجري إزاء ذلك إضافة تلك الكلمة الساحرة كلمة علم، فقيل لبعض العلوم « علوم إنسانية، وأخرى علوم اقتصادية، وهذا ليس له ما يبرره من الناحية الفكرية، فهل الاقتصاد غريب عن العلوم الإنسانية، وهل من الصعب إدراج الجغرافيا الطبيعية و علم النفس الحيواني ضمن العلوم الإنسانية»<sup>23</sup>. ومن جهة ثانية يعتقد الفرنسيون بعكس الإنجليز أن مجمل التسميات كالعلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية اللذين طابق الإنجليز بينهما، لا تعبران تعبيراً دقيقاً عن حقيقة العلوم الإنسانية لأنهما تتضمن عبارات غامضة كعبارة "التاريخ الطبيعي"<sup>24</sup>، فهي عبارة مبهمّة تعبر عن اطرادات متتابعة في الطبيعة، حتى أصبحت مرادفة لعلم وصفي، أما الحال عند إنسان حديث فإنها تعبر عن تكامل بنيوي، أي تعاقب زمني، ومنه فقد أصبح الحديث عن مسألة التمييز بين العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية هو نوع من السفسطة والمجادلة لأن كل التفسيرات التي قدمت على ذلك لا تحتوي على تمييز إبتيمي دقيق، بل مجرد فصل نظري، خاصة بين العلوم الإنسانية وعلوم الإنسان، ويمكن أن نلمس ذلك عند الحديث عن العلاقة بين العلوم الإنسانية والابستيمولوجيا وبين الإبتيمولوجيا ومختلف العلوم، يقول بلانشي واصفا العلاقة الأولى: « وبقدر ما أن التفكير الإبتيمولوجي قد أثار صعوبات العمل العلمي ..المتعلق بالعلوم الإنسانية، ومهما كان السبب، فإن التحليلات والجدالات التي من الممكن أن يتواجه بها المؤرخون وعلماء النفس والاقتصاديون واللسانيون حول الطريقة التي يواصلون بها دراساتهم ما تزال متأثرة بنفس أبحاث موضوع هذه العلوم»<sup>25</sup>.

3- التاريخ البنيوي للعلوم الإنسانية : قدم الفلاسفة و المفكرون البنيويون، وعلى رأسهم كلود ليفي ستروس مجموعة من التحليلات الأنتروبولوجية، التي تبين خصوصية تحليله، ووجهة نظره من مسألة العلوم الإنسانية، ولعل كتاب الفكر المتوحش، يعد من الأعمال الأساسية التي تبين خصوصية هذا التحليل، وفي نفس الوقت جماليته، وهو كتاب ينتقد فيه ستروس الحضارة الغربية التي يصفها بالعنصرية لأنها قسمت العقل البشري إلى قسمين، وهو من دون شك وما دام أنه تقسيم ثنائي فإنه سيكون بين عقل متحضر هو عقل الحضارة والثقافة الغربية والذي يعكس واقع اجتماعي متطور، واقع العالم الغربي بصورة شاملة. وعقل بدائي متوحش، هو عقل الحضارات السابقة عليها، وأقصد عقل الحضارات الشرقية القديمة، التي تعكس واقع اجتماعي متخلف، كما أن الادعاءات التي أفرزتها الحضارة والثقافة الغربية لم تتوقف عند هذا الحد بل وصل الجدل إلى أن تم إبطال كل ما أنتجته الحضارات السابقة، والتأكيد بأن قمة إبداع العقل البشري كان مع الحضارة الغربية، وهذا ما يثبت تاريخهم على أن بداية العلم كان مع الفلسفة اليونانية القديمة، وأن باقي الحضارات السابقة عنها لم تنتج ما يمكن تسميته علماً، وتدليلهم على ذلك أن إبداعات المصريين والصينيين والهنود هي أعمال أقرب منها للسحر إلى العلم، حتى وإن وقف العلم الراهن عاجزاً عن حل لغزها حتى الآن.

إن أبسط رد على هذا على هذا الموقف يتحدد من خلال التاريخ ومعانيه ومستوياته المختلفة التي تنسب دائماً للأساطير والحضارات والثقافات المختلفة، والدور الذي يقوم به التكرار في ذلك، وفيها يقول ستروس واصفاً التاريخ « إن ما تفعله الأساطير في المجتمعات هو أنها تبرز نظاماً للعالم من خلال وصف الحاضر بالماضي وتصور المستقبل من خلال الحاضر، فتطلب من التاريخ الاعتقاد

أن يعيد الحاضر الماضي وأن يختلف المستقبل عن الحاضر بنفس الطريقة التي اختلف بها الماضي عن الحاضر «<sup>26</sup>. إن أهم ما نلاحظه من نتيجة غير مرضية على هذا المفهوم المبني على فكرة التكرار لمختلف الأحداث التاريخية في الحضارة والثقافة الغربية هو أنه هو الذي أدى إلى استمرار النزعة الاختبارية في الفلسفة الغربية من أرسطو حتى نيوتن كان سببها حالة السكون الذي كان أحد العوائق الكبرى التي وقفت حاجزا أمام تقدم الفكر الغربي، ما يؤكد على معقولية الفكرة التي دعى إليها غيرتز من خلال قراءته لكتاب سوزان لانغر الفلسفي، نعمة جديدة، الذي ترفض من خلاله تلك الموضة الفكرية، التي تتعلق بوجود فكرة كبرى وحيدة صالحة لجميع العوالم الممكنة وتحييد باقي الأفكار، وهي هنا موضع الثقافة الغربية الحديثة إزاء الثقافات الشرقية القديمة.

وعلى هذا الأساس فإن هذا التمييز يرفضه ستروس، ويدعو إلى أهمية محافظة الثقافات المحلية والجهوية لكل مجتمع على خصوصياتها، وتميزها عن بعض مع ضرورة دعم سبل التواصل والانسجام بينهما، مع عدم ذوبان إحداها في الأخرى، وهي علاقة لا يمكن تحقيقها إلا من خلال ما دعا إليه هابرماس من خلال خلق خطاب برهاني يحفز على اتفاق دون ضغوطات بداخل بنية ديمقراطية. ولذلك فإن ستروس في كتابه العرق والتاريخ عمل على دحض الأسس النظرية التي تقوم عليها العنصرية، فأكد في كتابه الفكر المتوحش أن العقل البدائي ليس هو فقط البداية كما أنه ليس « جزء فارغا لم يتحقق بعد، إنه يشكل نظاما أو نسقا واضح المعالم. مستقل في هذا الصدد عن أي نظام آخر هو نظام العقل الحديث والعلم الحديث »<sup>27</sup>. ولمناقشة هذا البعد المعرفي بين هذين العقلين البدائي و المتحضر، فإن ذلك يتطلب منا تحليل العلاقة بين حضارات الثقافة الشرقية القديمة و الحضارة في الثقافة الغربية الحديثة، التي شكلت بالنسبة إليه، و أقصد ستروس جدالا كبيرا لا يزال مستمرا حتى اليوم، وفصل الخطاب في هذا الجدل الثقافي كما ذهب إلى ذلك غيرتز في كتابه تأويل الثقافات هو رفض التيارين معا في تفسير العلوم الانسانية، تيار النسبية التراثية وتيار النشوء الثقافي إلى تلك التي كانت أكثر شيوعا لـ « تجنب هذين الموقفين في البحث عن الأنماط الثقافية نفسها عن العناصر المحددة للوجود الانساني، والتي كانت بالرغم من عدم ثباتها في التعبير، متميزة في طبيعتها »<sup>28</sup>. وهي تعني أن هناك مجموعة من الشروط من أجل موضوعة الانسان في بيئة معينة عن طريق استراتيجية محددة تعمل على ربط عادات وتقاليد الانسان في هذا المحيط لعلاقات مع الشروط البيولوجية والنفسية والاجتماعية في حياة الانسان مهما كانت طبيعة المجتمعات سواء قديمة أم حديثة.

هذه المشكلة هي ما عمد إلى تحليله ستروس في كتابه بالغ التعقيد الفكر المتوحش، حيث خلص إلى نتيجة هي أن العقل البشري، هو على مر الحضارات والعصور عقل واحد، وأن آليات عمله هي كذلك واحدة ومشاركة، وهي نتيجة كانت ثمرة لدراسة مجموعة من الظواهر والموضوعات، سادت مختلف المجتمعات كموضوع القرابة، موضوع اللغة، نظام الأساطير، نظام الطوطمية .. إلخ. وهذا يعني أن ستروس أراد أن يثبت أن الحضارات الأخرى غير الحضارة الغربية التي تندرج تحت لواء المجتمعات البدائية، تمتلك نفس المؤهلات المنطقية لهذه الحضارة ولا تختلف عليها إلا من حيث طبيعة ظواهرها، وستروس في هذه المعالجة يختلف عن وظيفية ليفي بريل ووظيفية خمسينيات القرن الماضي من خلال المنهج الجديد الذي أتى به .

وأهم ما يمكن أن يميز منهجه هو أنه مخالف لباقي المناهج المستخدمة في دراسة العلوم الإنسانية، والتي أكدت قصورها في فهم الظاهرة الاجتماعية، إنه منهج يروم الكشف عن أسباب الظواهر الكامنة، ولذلك فهو يستبدل طريقة التفسير السببي القائم على مفهوم التعاقب بطريقة التفسير البنيوي القائم على مفهوم التزامن، الذي يعني النموذج النظري الذي يخالف الصورة التي

تعكس الواقع، فمبدأ التزامن هو « زمن حركة العناصر فيما بينها داخل البنية، وهو زمن نظامها الذي يفرض استمرارها وثبات نسقها، وعليه فالتزامن يرتبط بما هو مكتمل، وما هو يشكل بنية»<sup>29</sup>. وقد تمكن ستروس من ذلك من خلال رفضه لفكرة الترابطية الوظيفية التي استعملت طريقة دمج المضمون في الشكل لأن اعتقادها أن هذه « الأشكال هي نفسها لجميع الأذهان القديمة والحديثة، البدائية، والتمدنية»<sup>30</sup>. لكن في نظره هو يجب الاعتماد على ترابطية مجددة تتأسس على نظام جديد مشابه لنظام المنطق المعاصر خاصة كما صوره جورج بول، وهنا يظهر تأثير ستروس بالأعمال المنطقية للمدرسة الأنجلوساكسونية، وهي في حقيقة الأمر أعمال رائدة تعكس تدهور حال المدرسة المنطقية الفرنسية التي تحتوي على قلة من المناطقة البارعين مقارنة بالمدرسة الأنجلوساكسونية التي تضم منطقتين كبار. وقد تمكن ستروس من صياغة البنيات الجبرية في أعماله بمعاونة عديد الرياضيين أوائل، ج ت، جيلبو، مما مكنه من تطبيقها على منظومة القرابة بل أكثر من ذلك على جميع التطبيقات والنتائج المعرفية في الثقافة السكولانية.

من خلال ذلك يمكن القول أن الخطاب الإنترولوجي للفي ستروس المتمثل في نظرية الممارسة القرابية الزواج، التي عرفها في كتابه ابني الأولية للقرابة، وهو في نفس الوقت الكتاب الذي مكنه من أن يجعل من للبنوية مكانة بين مختلف النظريات الإنترولوجية مستندا في هذه العملية إلى نموذج عملي هو كيفية عمل اللغة التي جعلها مشروعه النظري يستند إليه لفهم منظومة القرابة، وهي مشروعه العملي، محاورا في ذلك صديقه رومان جاكسون، وهي علاقة الصداقة التي أسست فيما بعد لعلاقة فكرية، استمرت وعمرت طويلا حيث أسست مشروعهما البنوي في اللسانيات بالنسبة لجاكسون والإنترولوجيا والعلوم الانسانية بالنسبة لستروس.

وهذا هو مكن الاختلاف بينهما حيث أن كلاهما يبحث لإنشاء العلامة أو الرمز، لكن ستروس يتجاوز جاكسون الذي يبحث في العلامة اللسانية، ليركز في العلاقة الإنسانية، وهذا يعني أن جاكسون يبحث عن الظواهر اللغوية الواعية، بينما ستروس يدرس الطبيعة الرمزية للموضوعات، كموضوع القرابة، موضوع الأساطير، موضوع اللغة وموضوع الاجتماع. و ستروس يفعل ذلك بأن ينطلق من اللغة، لأنه يعتقد أن رمز العلامة اللغوية أو العلامة الأنترولوجية هو الذي يجعل الحياة ممكنة، لأن سر هذه الرموز هو المكان الذي تحتله ضمن شبكة العلاقات الاجتماعية، وفي هذا يرى بوس أحد أهم ممثلي المدرسة الهولندية في الدراسة البنوية أن: « التحليل العميق المتواصل عن طريق اللغة، إنما يبين كيف أن اللغة إلى جانب القيم الاجتماعية والأخلاقية والثقافية، تكون تعبيراً عن واقع روحي يشمل جميع الأفراد ويعني بالنسبة لهم مصدراً وسبباً لوحدتهم. وهنا يتضح أن الفونولوجيا تكشف عن ميتافيزيقا للفهم البشري هي سند لعلوم الأخلاق»<sup>31</sup>. ومن هذه النقطة سار الاعتقاد أن مهام الفونولوجيا والإنترولوجيا هي واحدة، خاصة في الفترة المعاصرة، الفترة التي نحن نعيش فيها، وقد رجح هذا النقل من اللسانيات إلى القرابة بسبب نجاح طرق اللسانيات في الدراسة، فاستحقت بالفعل أن تكون مثالا لمختلف العلوم، وفعلا أعدت بعض النظريات في بعض العلوم منها الماركسية التي تستند إلى الفيورباخية والهيغلية بشكل أساسي.

وقد عبر بول ريكور عن هذه الفكرة، طريقة تناول الماركسية للظاهرة الاجتماعية خاصة من خلال نقطة جوهرية هي الإيديولوجيا والعلوم الاجتماعية من خلال سؤال مركزي هو هل يمكن أن تكون الإيديولوجيا بمصطلحات غير إيديولوجية، أو بالأحرى هل يمكن نقل العلوم الاجتماعية من المستوى الإيديولوجي إلى المستوى العلمي؟.

إن الإجابة عن هذا السؤال من خلال ماركس ستظهر أنه هو نفسه لم يجد من وسيلة ليؤسس مفهمته الجديدة عن العلوم الاجتماعية غير التفكير بواسطة الاستعارات والرموز، وهي بذلك لم تخرج من دائرة نفوذ المفهمة الهيغلية الفيورباخية<sup>32</sup>، وهذه الاستعارات التي يفكر في إطارها ماركس هي استعارة قلب صورة شبكة العين، استعارة الرأس والرجلين، الأرض والسماء، استعارة الانعكاس والصدى، وأخيراً استعارة التحديق في السحب. ونقل الظاهرة الاجتماعية عن طريق هذه الوسيلة المجازية، وفي النهاية ضمن المسار البلاغي الذي يبدأ من المستوى وينتهي إلى المستوى البياني أو المستوى الاستعاري، هي ضرورة مطلقة وكلية، لأن نشاط أي مجموعة اجتماعية، لا يتجلى إطلاقاً من خلال الحياة الوجودية لهذه الفئة، ولكن من خلال تأويل لمختلف الروابط الاجتماعية للفئة المعنية، وبما أن الرابطة الاجتماعية هي نفسها العلاقة الرمزية سيصبح من المستحيل أو بالأحرى ولأبقى دون تحيز من غير المجدي العمل على استنباط العلاقة الرمزية التي هي شيء مختلف من شيء سابق في تكونه هو الحياة الاجتماعية في الواقع المعين، أو النشاط الاجتماعي الذب هو المسار المتعاقب للواقع الذي سيقصر تأثيره فقط على العلاقة الرمزية التي سيكون لها انعكاسات وأصداء بكيفيات ثانوية، يقول ريكور: «إن خطاباً غير إيديولوجي عن الإيديولوجي سيصطدم هنا باستحالة الوصول إلى واقع اجتماعي سابق في وجوده عن الترميز»<sup>33</sup>. وستروس عند دراسته لأصل المجتمعات البدائية لا تختلف قراءته عن تلك الدعاوي التي يستند إليها كما ذكر ذلك ريكور، كارل ماركس، وقد توصل ستروس من خلال هذه الرمزية الجديدة إلى الممارسة القرابية الزواج لمختلف الفئات الاجتماعي دليل على وجود بنية عقلية لاشعورية وقبل أن تكون تجريبية هي التي تسيطر على الحياة الاجتماعية، وهو يعني في ذلك أن عادات و تقاليد كل مجتمع هي ظاهرة جهوية، لا يجب أن تعامل كظاهرة خاصة بمجتمع آخر، إنها ظاهرة مستمدة من طبيعة ذلك المجتمع، لذا لا يجب التمييز بين ظواهر المجتمعات البدائية وظواهر المجتمعات المتقدمة، خاصة من حيث تلك النقطة المتعلقة بالأهمية ودرجة نمو الظواهر.

إن هذه المعاني التي يعطيها ستروس لكيفية تحليل منظومة القرابة تمكنا من استخلاص النتيجة التالية: هي أن الظواهر الاجتماعية، هي ظواهر من مستوى واحد بين المجتمعات المدرسية، الحديثة والمعاصرة، وحتى وإن اختلفت فإنها تسير وفق قوانين عقلية مشتركة بينهما، مثلما تتحكم قوانين أخرى في موضوع اللغة.

إن ستروس يستعيز عن موضوع اللغة بموضوع الزواج، الذي يشكل من خلاله نظاماً من العلاقات، ومثال التوازي بين منظومة الكلام ومنظومة القرابة، هو أن العلامة اللغوية تتشكل من علاقة تقوم بين الدال والمدلول مثلما أن الممارسة القرابية تتشكل من علاقة بين الزوج والزوجة، لكن الأمر الأكثر جراً في تعدي المثال الأول هو سير المثال الثاني على خطاه حتى في انعكاساته على باقي العلاقات وهي علاقة الأب والابن الأخ والأخت، وعلاقة الخال من ابن الأخت، فينتهي من خلال ذلك ستروس إلى موضوع القرابة هو نفسه موضوع اللغة، وعليه كان مصطلح الزواج عند العالم الأنثروبولوجي مثلها مثل مصطلح الوحدة الصوتية الفونيم عند اللساني البنيوي، لأن الفونيم هو بنية كلية مكونة من أجزاء أقل منها تعبر عن معنى كلي هو الفونيم، فكذلك الزواج يتكون معناه الكلي من خلال العلاقات بين الحدود السابقة وهي الزوج والزوجة، والأب والابن، والأخ والأخت، والخال وابن الأخت.

وقد تمكن ستروس من خلال استعارته لمفهوم الفونيم من اللسانيات وتطبيقه على منظومة القرابة من أن يطور نظريته للعلاقة القرابية بين الزوج والزوجة، على اعتبار أن هاته العلاقة هي الأساس، ومنها تتأسس باقي العلاقات، لأن النظرة البنيوية لمنظومة القرابة تقوم على فكرة ))

مبادلة النساء وتغير ذلك بين الأجيال))، وهي على شكلين في المجتمعات البدائية، النمط الأول تكون فيه السلطة من حق الزوج والنمط الثاني السلطة من حق الزوجة، وبهذه الازدواجية التي تفسر مفهوم وطبيعة السلطة التي يتجاذبها طرفين، فإنها تنعكس على باقي العلاقات التي تتأسس منها هذه النظرية ومن خلالها، فتصبح مجرد علاقات تحصيل حاصل بطريقة العلاقة المنطقية، بالنسبة لطبيعة العلاقة الأساس سواء كانت إيجابية أو سلبية، حيث تمكن ستروس من خلالها أن يتجاوز عقبة الخال بطرحه للمسألة بين مجموعة من الحدود، مماثلة للحدود اللغوية الدال والمدلول وهي علاقات الزوج و الزوجة (-)، الأب بالابن (-)، علاقة الأخ بأخته (+)، علاقة الخال بابن الأخت (+). وهو بذلك يساير طموح مييه meillet الذي يرى أن هناك تماثلا شاملا بين البنى اللسانية والبنى المجتمعية، هذا رغم أنه وفي مقابل موقف مخالف تماما يري أن بين بنية اللسان وبنية المجتمع فوارق عميقة ينطلق في إثباتها من مفهوم التغير في العامل اللساني والعامل المجتمعي، لذلك فعلى الاشكالية القديمة والخصبة للعلاقة بين اللسان والمجتمع أن تجد لنفسها موضوعات أخرى ف « العناصر المكونة لهذين المجالين لا علاقة لها تقريبا ببعضها البعض، كما وأن إيقاعات التطور فيهما تختلف بشكل كامل»<sup>34</sup>.

### خاتمة:

لقد تبين لنا من خلال هذه النظرة العلمية بالإطلاقة على نوافذ الذات الإنسانية، الذات التي وصفها بول ريكور، أنها أصبحت كالاستعارة الميتة تحلق في سماء المكعبات البنيوية المتعالية، لذلك كان لزاما على العلوم الإنسانية أن تغير من طرقها في الدراسة عن طريق ذلك التحول من تتناول السلوكيات الخارجية للفرد أو مجموعة اجتماع أفراد إلى تلك الطريقة التي تتناول البنيات والعلاقات، وهذا يعني أن مفهوم الظاهرة الاجتماعية، لا يتواءم مع طبيعة الكائن المادي، كما دلت على ذلك الدراسات الوضعية والتجريبية عموما، وحتى البنيوية الوظيفية التي سارت في فلكتها، بل إلى ضرورة إعادته إلى إطار من خلال دمجها في مفهوم البنية العقلية اللاشعورية الرمزية، كما تناولته البنيوية الفلسفية، وهو أمر يتفق حوله كل الفلاسفة والمفكرين والإبستيمولوجيين المعاصرين، وقد أدى ذلك إلى تسجيلنا ملاحظتين أساسيتين في دراسة العلوم الإنسانية من خلال المنظور البنيوي وهما:

هناك أولا فكرة أساسية هي أن العلوم الإنسانية من خلال النظرة البنيوية حققت تلك النقلة النوعية لهذه العلوم التي هي شبيهة بذلك الحلم الوضعي في تأسيس لغة علمية شاملة صالحة لجميع عوالم الخطاب الممكنة، وهي تتمحور، وأقصد هذه النقلة، في محاولة تأسيس لغة جديدة تبحث بها العلوم الإنسانية، وطريقتها في ذلك هي التخلص من الذات والتخلي عن الشعور من أجل البحث في الموضوع من خلال الخوص في الأعماق الرمزية للشعور، وهي العبارة التي تنحل بدورها إلى ملاحظتين أساسيتين هما:

1- انقلاب علم الاجتماع من الاهتمام بالحقائق الإمبريقية التي يمكن ملاحظتها ومشاهدتها واقعا إلى محاولة الغوص إلى ما يقع خلفها رمزيا.

2 - محاولة استلها مناهج العلوم الصورية والعلوم الطبيعية ونقلها إلى العلوم الإنسانية، لكن مع مراعاة الفروقات عند عملية النقل ويظهر ذلك من خلال المفهوم الجديد الذي فسر البنية، الذي أراد من خلاله نقل ثورة الفيزياء إثر ميكانيكا الكوانتا والرياضيات إثر أزمة الأسس، و أن يحدث نفس هذه الثورات فيها، فتأسس العلوم الإنسانية من خلال تجاوز أزمتها المماثلة لتلك الأزمت.

- 1 geertz : interview with clifford , geertz , 1991 , p : 609 .
- 2 روبرت بلانشي : المعقولية في العلم الحديث ، ترجمة ، الدكتور عادل العوا ، منشورات ، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ، دمشق ، 1981 ، ص : 10 .
- 3 كلود ليفي ستروس : الإناسة البنائية، ترجمة حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1995، ص : 74 .
- 4 Blanché : l'épistémologie , puf , paris , 1972 , p : 40 .
- 5 ibid , p : 44 .
- 6 ibid , p : 40 .
- 7 ibid , p : 43 .
- 8 يمني طريف الخولي : مشكلة العلوم الانسانية، تقنياتها وامكانية حلها، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ص : 39 .
- 9 نفس المرجع ، ص : 67 .
- 10 زوبرير دراقي : محاضرات في اللسانيات العامة و التاريخية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، ص : 63 .
- 11 Blanché : la logique et son histoire , armond , colin , masson , paris , 1970 , p : 180 .
- 12 ibid , p : 186 .
- 13 أحمد مؤمن : اللسانيات ( النشأة و التطور ) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، ص : 129 .
- 14 فريدة غيو : اتجاهات و شخصيات في الفلسفة المعاصرة ، دار الهدى للطبع و النشر و التوزيع ، عين مليلة ، الجزائر ، ص : 146 .
- 15 عبد السلام المسدي : مباحث تأسيسية في اللسانيات ، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر و التوزيع ، تونس ، ص : 26 .
- 16 الزواوي بغورة : المنهج البنوي و العلوم الإنسانية، ضمن كتاب مدخل جديد إلى فلسفة العلوم ، مطبوعات جامعة منتوري ، قسنطينة ، دار الهدى ، عين مليلة ، إشراف الدكتور، الزواوي بغورة ، ص : 195 .
- 17 عبد الله عبد الرحمن يتيم : كلود ليفي ستروس ( قراءة في الفكر الإنترولوجي المعاصر ) ، بيت القرآن ، 1418هـ، 1998 م ، المنامة ، البحرين ، ط1 ، ص : 41 .
- 18 مصلح الصالح : الشامل ( قاموس المصطلحات العلوم الاجتماعية ) ، دار عالم الكتب للنشر و التوزيع ، ط1 ، 1999 ، ص : 476 .
- 19 Blanché : épistémologie , op , cit , p : 53 .
- 20 يمني طريف الخولي : مشكلة العلوم الانسانية، تقنياتها وامكانية حلها، مرجع سابق ، ص : 13 .
- 21 Blanché : épistémologie , op , cit , p : 53 .
- 22 حسين علي : فصول في فلسفة العلوم الفيزيائية والانسانية، دار الجوهرة للنشر و التوزيع، ط1، 2014، ص : 191 .
- 23 Blanché : épistémologie ,op , cit , p : 64 .
- 24 ibid , p : 69 .
- 25 ibid , p : 23 .
- 26 Claude levi Strauss : triste tropique , ed , plon , 1955 , p : 78 .
- 27 Claude levi Strauss : la pensée sauvage , ed , plon , 1962 , p : 21 .
- 28 كليفورد غيرتز : تأويل الثقافات، ترجمة، الدكتور محمد بدوي، مراجعة، بولس وهبة، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، كانون الأول، ديسمبر، 2009م، ص : 138 .
- 29 عبد السلام المسدي : اللسانيات و أسسها المعرفية ، الدار التونسية للنشر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985 ، ص : 130 .
- 30 بياجي : البنيوية ، ترجمة ، عارف منيمة ، بشير أوبري ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، ط4 ، 1980 ، ص : 90 .
- 31 عبد الوهاب جعفر : البنيوية بين العلم و الفلسفة عند ميشال فوكو، دار المعارف، 1989، ص : 7 .
- 32 بول ريكور : من النص إلى الفعل ، ترجمة، محمد برادة ، حسان بورقبة، عين للدراسات و البحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط1 ، 2001 ، ص : 252 .
- 33 نفس المصدر ، ص : 253 .
- 34 كلود حجاج : إنسان الكلام ( مساهمة لسانية في العلوم الانسانية )، ترجمة، د . رضوان ظاظا، مراجعة، د . مصباح الصمد، بسام بركة، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت ، لبنان، ط1، كانون الأول، ديسمبر، 2003، ص : 351 .
- قائمة المصادر والمراجع :**
- 1- بالعربية  
- قائمة المصادر:
- \* بول ريكور: من النص إلى الفعل، ترجمة، محمد برادة ، حسان بورقبة، عين للدراسات و البحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2001 .
- \* جان بياجي: البنيوية ، ترجمة ، عارف منيمة ، بشير أوبري ، منشورات عويدات ، بيروت، باريس ، ط4 ، 1980 .
- \* روبرت بلانشي: المعقولية في العلم الحديث ، ترجمة ، الدكتور عادل العوا ، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دمشق، 1981 .
- \* عبد الوهاب جعفر: البنيوية بين العلم و الفلسفة عند ميشال فوكو، دار المعارف، 1989 .

- \* كلود ليفي ستروس: الإناسة البنيوية، ترجمة، حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1995.  
\* كليفرود غيرت: تأويل الثقافات، ترجمة، الدكتور محمد بدوي، مراجعة بولس وهبة، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، كانون الأول، ديسمبر، 2009 .

- قائمة المراجع:

- \* أحمد مؤمن: اللسانيات (النشأة و التطور)، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون، الجزائر .  
\* حسين علي: فصول في فلسفة العلوم الفيزيائية والانسانية، دار الجوهرة للنشر والتوزيع، ط1، 2014.  
\* زوبير دراقي : محاضرات في اللسانيات العامة والتاريخية، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون، الجزائر .  
\* عبد السلام المسدي: اللسانيات و أسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985 .  
\* عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسية في اللسانيات، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر و التوزيع ، تونس .  
\* عبد الله عبد الرحمن يتييم: كلود ليفي ستروس ( قراءة في الفكر الإنتربولوجي المعاصر ) ، بيت القرآن ، 1418هـ- 1998 م ، المنامة ، البحرين، ط1 .  
\* فريدة غيوة : اتجاهات و شخصيات في الفلسفة المعاصرة ، دار الهدى للطبع و النشر و التوزيع ، عين مليلة ، الجزائر.  
\* كلود حجاج: إنسان الكلام (مساهمة لسانية في العلوم الانسانية)، ترجمة، د . رضوان ظاظا، مراجعة، د . مصباح الصمد، بسام بركة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، ط1، كانون الأول، ديسمبر، 2003.  
\* مجموعة باحثين: مدخل جديد إلى فلسفة العلوم ، إشراف ، الدكتور الزواوي بغورة ، مطبوعات جامعة منتوري ، قسنطينة ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر .  
\* يمني طريف الخولي: مشكلة العلوم الإنسانية تقنياتها وإمكانية حلها ، نقلا عن حسين علي ، فصول في فلسفة العلوم الإنسانية و الفيزيائية ، دار الجوهرة للنشر و التوزيع ، ط1 ، 2014 ، ص : 191 .

- قائمة المعاجم و القواميس:

- \* مصلىح الصالح : الشامل ( قاموس المصطلحات العلوم الاجتماعية ) ، دار عالم الكتب للنشر و التوزيع ، ط1 ، 1999 .  
2- بالفرنسية:

- \* Blanché : la logique et son histoire , armond , colin , masson , paris , 1970 .  
\* Blanché : l'épistémologie , puf , paris , 1972 .  
\* claud levi strauss : la pensée sauvage , ed , plon , 1962 .  
\* Claud levi strauss : triste tropique , ed , plon , 1955 .

3- بالإنجليزية:

- \* geertz : interview with clifford , geertz , 1991 .